ضدهم. ويعود سبب الاستحسان، لدى الشعوب الأوروبية إلى عامل أساسي، لا يزال قائماً حتى يومنا هذا، وإن خفت حدته بشكل كبير وتفاوتت درجته، بين هذا البلد أو ذاك، نتيجة تلاشي الروح القومية الشوفينية وعلو شأن الأفكار الليبرالية والانسانية. وقد تمثل هذا الاستحسان في الرغبة الكامنة في نفسية هذه الشعوب في التخلص من اليهود ليس عن طريق اضطهادهم، وانما عن طريق هجرتهم إلى أية بقعة في الأرض. ولعل في هذا العامل، إلى جانب عوامل اخرى، ما يفسر لنا عدم رغبة قطاعات واسعة من الشعوب الاوروبية في تفهم وجهة النظر العربية، وذلك بحكم احساسها الدفين بالمصلحة – من وجهة نظرها – الكامنة بهجرة اليهود من بلدانها. وربما يكون هذا العامل أكثر وضوحاً وبروزاً عند الشعوب ذات التراث الاستعماري؛ إذ من الملاحظ أنها لا تكن تقديراً لمواطنها اليهودي او تعاطفاً معه بقدر ما تكن من تقدير وتعاطف للمواطن نفسه إذا عاد اليها حاملاً جواز سفر اسرائيلياً؛ ففي هذه الحالة، تكون عملية التخلص قد تضافرت مع عملية الافادة الاستعمارية. وهذه الظاهرة ما زالت واضحة في الدول الغربية وخصوصاً بين اوساط الشعوب ذات التراث الاستعماري، ولا أثر لها على الاطلاق بين شعوب الدول التي عانت الأمرين من الاستعمار، إذ أنها غريبة عنها. ومن الصعب عليها تفهمها. وإلى جانب استحسان الشعوب الاوروبية لهذه الفكرة، وجدت، كي تترجم، على صعيد الواقع، إلى مشروع مجسد، في الدول الاستعمارية متكأها ومرتكزها.

مع ظهور الحركة الصهيونية، كانت الجاليات اليهودية التي لا تقوم للصهيونية قائمة بدونها هي الطرف الوحيد الذي أبدى تحفظات كبيرة، وحتى معارضة شديدة في كثير من الاحيان، ضد الفكرة الجديدة؛ وذلك خشية من أن تؤثر على أوضاعها في هذا البلد أو ذاك. ولم يكن من السهل على هرتسل ورفاقه إزالة التحفظات أو المعارضة؛ لذا راهن كثيراً على العامل الذي دفعه بالذات إلى التحول من يهودي عادي إلى صهيوني والمتمثل في نظرة الكراهية تجاه اليهود والذي ترك رواسب عميقة في نفسيته؛ وذلك إثر القضية الشهيرة المعروفة بقضية داريفوس. هذا، فضلاً عن مراهنته على عاملين آخرين يتمثلان في الرغبة الكامنة لدى الشعوب الأوروبية، في التخلص من اليهود والاطماع الاستعمارية التي كانت تتمحور حول المشرق العربي لاقتسامه عقب لفظ الرجل المريض (الامبراطورية العثمانية) أنفاسه الأخيرة. فقد رأى هرتسل، في النتيجة، تماثلاً في المصالح بين دعوته وبين اللاسامية ورغبة الشعوب الاوروبية والاطماع الاستعمارية؛ ففي حال البدء بتجسيد الفكرة تتضافر مصالح هؤلاء جميعاً. وينتهي تماثل المصالح بين الصهيونية واللاسامية في حال قيام دولة مستقطبة كل أو معظم يهود أوروبا، في حين يبقى التماثل في المصالح بين الدولة الصهيونية وبين أطماع الدول الاستعمارية في ثروات شعوب المنطقة ما دامت هذه الثروات قائمة دون أن يصل أهلها إلى درجة من التطور تمكنهم من انتزاعها لصالحهم أو دون أن تصل الصهيونية درجة من التطور تمكنها من إخضاع الثروات وأصحابها لسيطرتها المطلقة.

نشط هرتسل لبث فكرته الجديدة، ضارباً على نغمة «تماثل المصالح». ولم يجد أي عيب في تكريس جهود كبيرة لعقد سلسلة من اللقاءات مع شخصيات مرموقة معروفة